السَّلَفِيَةُ
قَوَاعِدٌ وَأُصُوْلٌ

تأليف
الشيخ/د/ أحمد فريد.

الدعوة السلفية
Omar_rahal2005@yahoo.com
Omar_rahal84@hotmail.com

السلفية قواعد وأصول (*)

(*) محاضرة ألقيت في بعض المناسبات ، وتم تسجيلها ، وقد لقيت قبولاً بحمد الله عز وجل ، وتم أيضاً الموافقة على نشرها من الجهات المعنية بالأزهر الشريف ، فرأيت من المصلحة تدوينها وطباعتها حتى يعم النفع بها ، والله من وراء القصد وهو مولانا ونعم النصير .

الحمد لله الذي رضي من عباده باليسير من العمل ، وتجاوز لهم عن الكثير من الزلل ، وأفاض عليهم النعمة ، وكتب على نفسه الرحمة ، وضَنَّنَ الكتاب الذي كتبه أن رحمته سبقت غضبه ، دعا عباده إلى دار السلام فعمهم بالدعوة حجة منه عليهم وعدلاً ، وخص بالهداية والتوفيق من شاء نعمة ومنة وفضلاً ، فهذا عدله وحكمته وهو العزيز الحكيم ، وذلك فضل يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

وأشهد ألا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، شهادة عبده ، وابن عبده ، وابن أمته ، ومن لا غنى به طرفة عين عن فضله ورحمته ، ولا مطمع له بالفوز بالجنة ، والنجاة من النار إلا بعفوه ومغفرته .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وصفيه من خلقه وخليله ، أرسله رحمة للعالمين ، وقدوة للعاملين ، ومحجة للسالكين ، وحجة على العباد أجمعين ، وقد ترك أمته على الواضحة الغَرَّاء ، والمحجة البيضاء ، وسلك أصحابه وأتباعه على أثره إلى جنات النعيم ، وعدل الراغبون عن هديه .

إلى صراط الجحيم ، ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيا من حَيَّ عن بينة ، وإن الله لسميعٌ عليمٌ .

فصلى الله وملائكته وجميع عباده المؤمنين عليه ، كما وَحَّدَ الله عز وجل ، وعرفنا به ودعا إليه وسلم تسليماً .

ثم أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله عـز وجـل ، وخيـر الهـدى هـدى محمد وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعــة ضلالة ، وكل ضلالة في النار ، وما قال وكفى ، خيـر ممـا كـثر وألهى ، وإن ما توعدون لآت ، وما أنتم بمعجزين .

من هـم السـلف ؟ ومـن هـم السـلفيون ؟ ومـا هـي قواعد المنهج السلفي ؟ ومـا هـي الأصـول العلميـة للدعوة السلفية ؟

لا شك أن هذه الأسئلة تترد في أذهان كثير من الناس ، منهـم من عنده إجابة ، ومنهم من يفتقـر إلـى إجابـة ، ونحـن نوضـح هذا المنهج ، وهذا الفكر ، حتى يكون الناس على بصـيرة مـن دينهـم ، وحـتى يتأكـد المسـلم أنـه علـى الصـراط المسـتقيم وعلى هدى سيد الأولين والآخرين .

السـلف: هـم الصـحابة ، والتـابعون ، وتـابعوهم مـن أهـل القرون الخيرية الثلاثة الأوَل ، التي أشار النبي إلى خيريتها ، فقال : " خيركم قرني ، ثم الذين يلونهم ثـم الـذين يلـونهم " فبيّن النبي أن خير قرون الأمة القرن الذي بعث فيه رسـول الله فقال: " خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلـونهم " .

والصحابة جمع صحابي ، والصحابي: هو من رأى رسول الله مؤمناً به ، ومات على ذلك ، وإن تخللته ردة على الراجح مـن أقوال العلماء .

فالصحابة: هم الذين رأوا رسول اللـه ، واكتحلـت أعينهـم بمشاهدة أنواره .

والتابعون: هم الذين رأوا الصحابة ، أو واحداً من الصحابة .

فالسلف: هـم الصـحابة ، والتـابعون ، وتـابعوهم مـن أهـل القـرون الخيريـة الثلاثـة الأول ، عـدا الأول ، عـدا أهـل البـدع كالخوارج ، والمعتزلـة ، والقدريـة ، والجهميـة ، وغيرهـم مـن فرق الضلالة .

والسلفيون: هم الذين يعتقدون معتقد السلف الصالح رضي الله عنهم ، وينتهجون منهج السلف في فهم الكتاب والسنة ، فإن قال قائل لماذا نسمي بالسلفيين؟! ولماذا نبتدع أسماء جديدة؟! ألا يكفي اسم الإسلام {هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ} (78) سورة الحج.

فالجواب: على هذه الشبهة ما أجاب به الإمام أحمد بن حنبل –رحمه الله- إمام أهل السنة لما قيل له ألا يسعنا أن نقول القرآن كلام الله ونسكت؟

قال: كان هذا يسع من كان قبلنا أما نحن فلا يسعنا إلا أن نقول القرآن كلام الله غير مخلوق .

فكان يسع المسلمين قبل ظهور المبتدعة من المعتزلة بخلق القرآن ، كان يسعهم أن يقولوا القرآن كلام الله ويسكتون ، ولكن لما ظهرت بدعة القول بخلق القرآن ، كان لابد لأهل الحق من أن يصرحوا بأن القرآن كلام الله غير مخلوق فكان يكفي العبد اسم الإسلام عندما كان المسلمون جماعة واحدة ، على اعتقاد واحد ، وعلى فهم واحد للكتاب والسنة ، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: " إنكم قد أصبحتم اليوم على الفطرة ، وإنكم ستحدثون ، ويحدث لكم ، فإذا رأيتم محدثة فعليكم بالعهد الأول " .

وقال الإمام مالك: لم يكن شيء من هذه الأهواء على عهد رسول الله وأبي بكر وعمر وعثمان ، لأن البدع ظهرت في آخر عهد الصحابة رضي الله عنهم .

كما أخبر النبي فقال: " إنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، عضوا عليها بالنواجذ " [1] .

فمن عاش من الصحابة ، ومن طال عمره من الصحابة رضي الله عنهم رأى مصداق ما أخبر به الرسول من ظهور البدع ، وظهور الاختلاف وظور الفرق .

---

[1] ()رواه أحمد (4/126،127) ، وأبو داود (12/ 359،360عون) ، والترمذي (10/144 عارضة) ، وابن ماجة (43) المقدمة ، والدارمي (1/44 ، 45) وقال الترمذي: حسن صحيح ، وصححه الألباني .

كذلك أخبر النبي أن الأمة سوف تفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة ، منها واحدة ناجية تصير إلى جنة عالية قطوفها دانية ، وبواقيها عادية ، تصير إلى الهاوية والنار الحامية ، فقال : " افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على ثنتي وسبعين فرقة وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، كلهم في النار إلا واحدة ، قالوا: من هم يا رسول الله؟ ، قال: هم الجماعة " [2].

وليس المقصود بالجماعة أي جماعة في أي مكان ، لأن الجماعات تختلف بإختلاف الأمكنة واختلاف الأزمنة ففي بع ض الأماكن ينتشر مذهب الشيعة ، وفي بع ض الأماكن ينتشر فكر الصوفية ، وفي بعضها فكر الأشاعرة ، فهل يقصد النبي أن الإنسان يكون مع أي جماعة في أي بلد وفي أي زمان ؟!.

ليس هذا هو المقصود قطعاً ، وأولى ما فسر به الحديث ، ولهذا الحديث رواية أخرى رواها الحاكم وهي بسند حسن لغيره ، قال: " هم من كانوا على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي " فيكون المقصود بالجماعة التي أخبر عنها النبي في رواية أخرى الجماعة التي هى على شاكلة الجماعة الأولى ، التي كانت على فكر واحد ، وعلى عقيدة واحدة ، وعلى فهم صحيح للكتاب والسنة .

فالجماعة من كان على فكر الجماعة الأولى ، وعلى معتقد الجماعة الأولى ، ولذلك لما سُئلَ الإمام ابن المُبارك –رحمة الله عليه- عن الجماعة قال: أبو بكر وعمر ، أي الجماعة أبو بكر وعمر ، فقيل له: قد مات أبو بكر وعمر ، فقال: فلان وفلان ، فقيل: قد مات فلان وفلان ، فقال أبو حمزة السكري

---

[2] ()رواه أبو داود (2/503،504) ، والدارمي (2/241) ، وأحمد (4/102) ، والحاكم (1/128) وقال الحاكم: هذه أسانيد تقوم بها الحجة في تصحيح هذا الحديث ، ووافقه الذهبي ، وقال الحافظ: وإسناده حسن ، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: هو حديث صحيح مشهور ، وصححه الشاطبي في الأعتصام ، والألباني في الصحيحة رقم (204) .

جماعة ، أي أن المقصود بالجماعة من كان على شاكلة الجماعة الأولى أي من كان على شاكلة الصحابة رضي الله عنهم ، لأن الله تعالى جعل معتقد الصحابة هو المقياس للعقيدة الصحيحة فقال عز وجل: {فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ } (137) سورة البقرة .
فيجب على كل مسلم في كل زمان وفي كل مكان أن تكون عقيدته مطابقة لعقيدة الصحابة رضي الله عنهم ، وأن يكون فهمه للكتاب والسنة على فهم الصحابة رضي الله عنهم .
فالذي دعا إلى ظهور اسم السلفية ، أو أهل السنة والجماعة ، أو أنصار السنة ، أو أهل الحديث ، أو أهل الأثر ، ما حدث من افتراق الأمة ، ومن ظهور البدع التي أخبر عنها النبي كالخوارج ، والمعتزلة ، والجمهية ، والقدرية ، والصوفية ، والشيعة ، وغيرها من فرق الضلالة ، فلما تفرقت الأمة ، ولما اختلف المناهج ، واختلف الأهواء ، والآراء ، والعقائد ، كان لابد لأهل الحق أن يتميزوا باسم ، وأن يتميزوا بمنهج .
فالذين يتميزون بمنهج أهل السنة ، أو السلفيون ، أو أهل الأثر ، أو أهل الحديث ...هم الذين يحافظون على معتقد الصحابة رضي الله عنهم ، ويحافظون على منهج السلف ، وفهم السلف للكتاب والسنة .
فالدعوة السلفية ليست فهم الإسلام بفهم شخص من الناس ، ليست فهم شيخ الإسلام ابن تيمية ، أو فهم العلامة ابن باز ، أو الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، أو الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق ، أو الشيخ محمد بن إسماعيل ، ولكن المقصود بالسلفية: المُحافظة على معتقد السلف ، وعلى فهم السلف للكتاب والسنة ، وعلى منهج السلف رضي الله عنهم .
فالدعوة السلفية: هي المحافظة على ما مضى عليه سلف الأمة رضي الله عنهم ، ولا شك أنها الدعوة للتمسك بالسنة التي أمرنا بالتمسك بها رسول الله فقال: " عليكم بسنتي ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي " [3] .

---

[3] ()سبق تخريجه .

إن السنة ليست مجرد إعفاء اللحية ، أو الثوب القصـير مثلاً ، وليست بعض الأقوال والأفعال ، ولكن السنة تشمل ما مضـى عليه النبي والصحابة رضي الله عنهم .

فالسنة أقوال وأفعال وعقائد ، السـنة أن تكـون علـى معتقـد السلف ، وتقتدي بالنبي في هديه ، وفي سمته ، وفي أقواله وفـي أعمـاله ، والسـلفية أن نتمسـك بالسـنة وبمـا أمرنـا بالتمسك به رسول الله .

وقد بشر النبي بأن طائفـة مـن الأمـة لا تـزال ظـاهرة علـى الحق ، ترفع راية السنة وتدعو إلـى الفهـم الصـحيح ، للكتـاب والسنة ، وأن هذه الطائفـة تبقـى فـي كـل عصـر ، وفـي كـل مصر ، تقيم الحجة على أهل عصرها ، أو أهـل مصـرها ، حـتى يأتي أمر اللـه وهـم كـذلك ، وأمـرُ اللـه ريحـاً تـأتي مـن جهـة الشمال فتأخذ المؤمنين من تحت آبـاطهم ، فتقبـض كـل روح مؤمنة ، ثم تقوم الساعة بعـد ذلـك علـى شـرار الخلـق فقـال النبي : " لا تـزال طائفـة مـن أمـتي ظـاهرين علـى الحـق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك " [4] .

فلا شك أن هذه الظاهرة: هي الفرقة الناجية التي أخـبر عنهـا المعصوم فالطائفة الظاهرة هـم أهـل الحـديث ، وهـم أهـل الأثر ، وليس المقصود بالظهور ظهور السـلطان ، والسـيف ، والسنان فـي كـل مكـان وزمـان ، ولكـن هـذا الظهـور ظهـور الحجة ، كما قيل للإمام أحمد في زمن ظهور المعتزلة الرديئة بخلـق القـرآن ، وأَجَبَـرَ المـأمون بـن هـارون الرشـيد بمقالـة المعتزلـة الردئيـة بخلـق القـرآن ، وأَجَبَـرَ المـأمون القضـاة والمفتين والعلماء وعوام الناس على القول بخلق القرآن .

فقيل للإمام أحمد: ألاَ ترى إلى الباطل كيف يظهر على الحق فقال: " كلا إن ظهور الباطل على الحق أن نتقلب قلوبنا مـن الحق إلى الضلالة ، ولكن قلوبنا بعدُ ملازمة للحق " .

---

4 ()رواه البخاري (13/293) الاعتصام بالكتاب والسنة ، ومسلمٌ (13/65) الإمارة .

فكان الإمـام أحمـد فـي هـذا الـوقت هـو والنفـر اليسـير مـن العلماء الـذين ثبتـوا علـى معتقـد أهـل السـنة ، ودافعـوا عـن عقيدة أهل السنة حتى حفظ الله عزَّ وجلَّ بهم سُنة نبيه .

كان الإمام أحمد ومن معه هم الجماعة في هـذا الـوقت ، مـع أنه لم يكن سلطان ولا دولة ، فأدنى الظهور أن يكـون ظهـور حجة .
فأهل السنة ظهورهم إما ظهور كامل ظهور حكم ، وسـلطان ، وسـيف وسـنان ، وأدنـى الظهـور كمـا قلنـا ظهـور الحجـة والبيان: فلابد أن يبقى أناس يرفعون راية السنة ، ويَذُبُّونَ عن سنة رسول الله ويـدافعون عـن معتقـد ومنهـج أهـل السـنة والجماعة .
كذلك يقول الإمام ابن القيم: ظـن بعـض النـاس أن الجماعـة هي سواد الناس ، وأن من شذ شذ في النار ، ولقد شذ الناس كلهم في زمـن الإمـام أحمـد إلا نفـراً يسـيراً فقيـل للخليفـة: أتكون أنت ، وولاتك ، وقضاتك ، وعوام الناس علـى الباطـل ، وأحمد وحده على الحق ، فلم يتسع قلبه لذلك ، فأخـذ الإمـام أحمد بالضرب والتعذيب بعد السجن الطويل ، ثم ظهر الحق ، وبطل ما كانوا يَدَّعُون .
فالجماعة: ما وافق الحق وإن كنـت وحـدك فأهـل السـنة هـو عالم متمسك بالحق وبـالأثر وبمـا مضـى عليـه رسـول اللـه وأصحابه الكرام .
فليس المقصود بالجماعة: أي جماعة فـي أي زمـان ، أو فـي أي مكان ، ولكن المقصـود: أن تكـون علـى شـاكلة الجماعـة الأولى التي أشار إليها النبي عندما قال: " **كلهم في النار إلا واحدة ،** قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: **الجماعة** " .
فلا يكفي اسم الإسلام حتى تكون من الناجحين يوم القيامـة ، لأن الأمة كما قلنا تفرقت إلى ثلاث وسبعين فرقـة ، فلابـد أن تكون مسلماً على معتقد أهل السنة والجماعـة ، وعلـى فهـم أهل السنة والجماعة للكتاب والسنة ، وعلى منهج أهل السنة .

فالشيعة أقاموا دولة يقولـون إنهـا دولـة إسـلامية ، ويرفعـون لافتة الإسلام ، ولكنها دولة شيعية ، وفـرق كـبير بيـن الإسـلام الصحيح وبين أصحاب العقائد الخربة ، وهم يتمسـحون باسـم الإسـلام مـع أنهـم يكفـرون الصـحابة إلا ثلاثـة ، وعنـدهم مـن العقائد الباطلة من الطعـن فـي كتـاب اللـه عـز وجـل ، ومـن الطعن في أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وأكثر الصـحابة رضـي الله عنهم ، ويتهمون السيدة عائشـة المـبرأة مـن فـوق سـبع سموات بما برأها الله منه .

فلا يكفي اسم الإسلام حتى تكون من الناجحين يوم القيامة ، وحتى تكون على الحق حتى تضم إلى ذلك أن تكون على معتقد أهل السنة والجماعة ، وعلى فهم أهل السنة والجماعة للكتاب والسنة .

قواعد للمنهج السلفي

أول قاعدة من قواعد المنهج السلفي: تقديم النقل على العقل

وفي الواقع إن هذه القاعدة هي التي تميز أصحاب المنهج الصحيح من أصحاب المناهج ، والآراء ، والأهواء المبتدعة ، فأهل السنة يقدمون النقل على العقل ، فمهما قال الله عز وجل فلا قول لأحدٍ ، وإذا قال رسول الله فلا قول لأحد .

وهم يحترمون ويتأدبون مع النص الوارد في الكتاب والسنة الصحيحة ، عملاً بقول الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (1) سورة الحجرات ، أي: لا تقدموا قول أحد ولا هوى أحد على كلام الله عز وجل ، أو كلام رسول الله ، وهذا الفهم كان واضحاً جداً عند الصحابة رضي الله عنهم ، حتى قال ابن عباس كلمة ملأت الدنيا قال: " توشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء ، أقول: قال رسول الله وتقولون: قال أبو بكر ، وقال عمر " .

فكان هذا المنهج واضحاً عند الصحابة ، فإذا قال رسول الله فلا اعتبار بأي قول يُخالف قوله ، ولو كان قول أبي بكر أو عمر رضي الله عنهم ، وهما شيخا الإسلام والخليفتان الراشدان بعد رسول الله .

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: " اتهموا الرأي في الدين ، فلقد وجدتني يوم أبي جندل أرده " يعني قول رسول الله كان يقول: ألسنا على الحق وهم على الباطل ، علام نعطي الدَّنية في ديننا ، فيقول: له النبي الزم غرزك ، فإنني رسول الله ولا يضيعني الله عز وجل ، ويذهب إلى أبي بكر ويقول له: علام نعطي الدنية في ديننا ، ونحن على الحق وهم على الباطل ، وكان يرى أن ما اتفق عليه في صلح

الحديبية فيه حيف شديدٌ على المسلمين ثم ظهرت بعد ذلك بركات رسول الله .
ففي عودة النبي من الحديبية نزلت سورة الفتح ، كلها بشريات ، وكلها خير لرسول الله وللمؤمنين ، حتى قال الصحابة: أنتم تعدون الفتح: فتح مكة ، ونحن نعد الفتح: صلح الحديبية ، لما أتى بعده من الفتح ومن الخير ببركة التسليم لله عز وجل ، ولرسوله .
كذلك يقول علي رضي الله عنه: (لو كان الدين بالرأي لكان باطن الخُفِّ أَوْلَى بالمسح من ظاهره) ، فالدين: بالنقل ، وليس بالعقل ، الشرع يقول: يمسح ظاهر الخف البعيد عن ملامسة الأرض والأتربة ، ولو كان الدين بالعقل ، لكان يمسح باطن الخف ، ولا يمسح ظاهر الخف .
فهذه أول قاعدة تميز أهل السنة والجماعة من غيرهم ، والسنة تجمع أهلها ، لذلك قال النبي : " **فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً** " ثم قال: **فعليكم بسنتي** " فعلاج الاختلاف في اتباع السنة ، لأن السنة واحدة لا تتعدد ، ولكن لو اتبعت عقلي وهواي ، وعقل شيخي وهواه ، وأنت اتبعت عقلك أو هواك ، أو هوى المعظم عندك ، والآخر كذلك ، والأهواء مختلفة ، والآراء مختلفة ، فلابد أن تفترق الأمة ، ولكن لو أنني قدمت كلام رسول الله على كلام أي أحد ، وأنت فعلت ذلك لابد أن نجتمع لأن السنة واحدة لا تختلف .
لذلك يقولون أهل السنة والجماعة ، وأهل البدعة والاختلاف فالسنة: تُجَمِّعُ والبدعة: تُفَرِّق .
وقد ذهب أحد المتأخرين إلى قاعدة سماها ذهبية ، وليس ذهبية ولا فضية يقول: ((نجتمع فيما اتفقنا فيه ويعذر بعضنا فيما اختلفنا فيه)) ولا شك أن هذا الكلام مردود ، وإن قال به عالم من علماء المسلمين ، لأننا قد نختلف في قضية كلية لا تحتمل الاختلاف كالأسماء ، والصفات ، أو القضاء والقدر ، أو الكفر والإيمان .

لما قيل لعبد الله بن عمر: ((إن بقريتنا أناساً يقولـون بـأنه لا قدر وأن الأمـر أُنُـفٌ (أي مسـتأنف) بلا قـدر سـابق)) ، وهـم القدرية: الذين ينفون علم الله عز وجل بالأشياء قبـل كونهـا ، وينفون كتابة الله عز وجل للمقادير ، وينفون مشيئة اللـه عـز وجـل ، ويجعلـون العبـاد يخلقـون أفعـالهم ، فهـم ينفـون كـل مراتـب الإيمـان بالقضـاء والقـدر الـتي يثبتهـا أهـل السـنة والجماعة .
فلما بلغ ذلك عبد الله بن عمر ما قال: نجتمع فيما اتفقنـا فيـه ويعذر بعضنا فيما اختلفنا فيه ، ولكن قـال: ((أخـبروهم أنهـم ليسوا مني ، ولست منهم)) اهـ .
وكانت هذه قاعدة السلف في التعامل مع أهل البدع ، فالأمور الفقهية قد تحتمل أقوال وآراء واجتهادات... ولكن العقيـدة لا تحتمل الاختلاف .
والفرقة: تكون فرقة إذا كـان أصـحابها يخـالفون أهـل السـنة والجماعـة فـي قضـية كليـة كالأسـماء والصـفات ، أو القضـاء والقدر ، أو الكفر والإيمان ، أو أصحاب النبي وأهـل بيتـه ، أو يخالفون أهل السنة في كثير من الجزئيات ، فيعود ذلـك علـى جزء كبير من الشريعة بالهدم فيقـوم مقـام القاعـدة الكليـة ، فبذلك تكون الفرقة فرقة .
ولما كانت البدعة تفرق صـارت المعتزلـة فرقـاً ، والأشـاعرة فرقاً ، والصوفية فرقاً ، والخوارج فرقاً ، وكل فرقة تُخطِّـىء غيرها من الفرق ، كما قالت اليهود: ليس النصارى على شيء ، وقالت النصارى: ليس اليهود على شيء .
فالحاصل أن التمسك بالسـنة هـو علاج الفرقـة ، لأن الأمـة لا يمكن أن تجتمع قدراً ، ولا يجوز لها شرعاً أن تجتمع على غيـر الحق ، لأن الأمة لا تجتمـع علـى ضـلالة ، وإذا اجتمعـت الأمـة على شيء فلابد أن يكون هذا هو الحق ، لأن الله تعالى عصم إجماع أمة نبيه محمد .
فلا يكون هناك إلا التمسـك بالسـنة وهـذا هـو علاج الاختلاف ، وليس بأن يعذر بعضنا بعضـاً فيمـا اختلفنـا فيـه ، مهمـا كـانت

أوجه الاختلاف ، لـذلك مـدوا أيـديهم للشـيعة الـذين يكفـرون الصـحابة ويطعنـون فـي القـرآن ، ولهـم-الشـيعة- كـثير مـن الكفريات والأشياء المخرجة من الملة .

القاعدة الثانية للمنهج السلفي: لافض التأويل الكلامي:

فالتأويل: يأتي بمعنى التفسير ، تأويـل القـرآن ، أي تفسـير القرآن ، ومحاسـن التأويـل: أي محاسـن التفسـير ، والتأويـل يأتي بمعنى ما يـؤول إليه الأمـر ، كما قال عـزَّ وجـلّ: {هَـلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْـلُ قَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ} (53) سورة الأعراف ، فالله عـز وجل يخبرنا عن يوم القيامة ويخبرنا عن الجنة والنار ، فتأويـل ذلك أن يحدث ما أخبرنا الله عز وجل به ، فهذا المعنى الثـاني للتأويل وهو ما يؤول إليه الأمر .

أما التأويـل بـالمعنى الاصـطلاحي ، والـذي اسـتعمله السـلف فهو: صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخر ، يعني: مرجوح ، فمثل هذا التأويـل مـردود عنـد السـلف ، لأن ظـاهر الكتـاب والسنة يجب القول به ، والمصير إليه .

لأننا لو فتحنا باب التأويل لانهدم الدين ، ولكان لكل إنسـان أن يقول: ظاهر الآية غير مراد ، وظاهر الحديث غير مـراد ، إنمـا أراد الله عـز وجـل كـذا ، وإنمـا أراد رسـول اللـه كـذا ، كمـا فعلت الخوارج وغيرهم من أهل البدع ، فيفتح باب من أبـواب الشر ، وما أريقت دمـاء المسـلمين يـوم الجمـل وصـفين ، إلا بالتأويل ، فالتأويل كان باب شـر عظيـم جـداً للأمـة ، فظـاهر الكتاب والسنة يجـب القـول بـه ، والمصـير إليـه ، حـتى يـدل الدليل على أن الظاهر غير مراد ، فهـذه القاعـدة الثانيـة عنـد أهل السنة والجماعة هي رفض التأويل الكلامي .

والقاعدة الثالثة: هي كثرة الاستدلال بالآيات والأحاديث ، فأهل السنة هم أسعد الناس بالكتاب والسنة

قال الله عز وجل: {وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا} (33) سورة الفرقان ، فلا يؤصلون أصولاً من عند أنفسهم ، ثم ينظرون بعد ذلك في الكتاب والسنة ، فما وافق أصولهم أخذوا به ، وما خالفهم أوّلوه أو ردوه ، كما يفعل أهل البدع ، ولكن أهل السنة يجمعون النصوص من الكتاب والسنة في المسألة الواحدة ، ثم تكون هي أصولهم التي بها يقولون ، وحولها يدندنون ، فهم لم يؤصلوا غير ما أصله الله عز وجل ، أو رسوله . فتجد دعاة التكفير مثلاً يقولون: بأن فاعل الكبيرة في النار ، فتكذبهم الآيات والأحاديث التي تخبر بمغفرة الله عز وجل للذنوب التي هي دون الشرك {إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء} (48) سورة النساء ، وأحاديث الشفاعة أنه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان مع قول لا إله إلا الله .

فيرجعون إلى رد هذه الأحاديث أو تأويلها ، وتأويل الآيات التي يخبر فيها الله عز وجل بأنه يغفر الذنوب جميعاً مع التوبة ، ومع غير التوبة .

من مات على ذنب دون الشرك ، فهو في مشيئة العزيز الغفار ، إن شاء غفر بفضله ورحمته ، وإن شاء عَذَّبَ بعدله وحكمته .

فنحن نرجو للمحسنين من المسلمين الجنة ، ونخاف على المذنبين من المسلمين من النار ، ولكن لا نقطع لأحد من المسلمين المحسنين بالجنَّةِ ، إلا من قطع له الشرع الحنيف بالجنة ، كالعشرة المبشرين والمرأة السوداء وغير ذلك ، كما ثبت عن النبي ، ونخاف على المذنبين الذين ماتوا على التوحيد ولكن لا نقطع بأنهم من أهل النار .

فالحاصل: أن أهل البدع يؤصلون الأصول من عند أنفسهم ، ثم ينظرون بعد ذلك في الكتاب والسنة ، فما وافق أصولهم يأخذون به ، وما خالفه إما أن يردوه وإما أن يؤولوه ، فهم لا ينظرون في شريعة النبي نظر الفقير المحتاج ، ولا يَرِدُون شرعه ورود العطشان كما فعل أهل السنة والجماعة ، فكان جزاؤهم من جنس العمل .

يقول النبي : " **أنا فَرْطُكم على الحوض** " والفرط: هو السابق - العرب كانت ترسل واحداً يستكشف الطريق ، ويبحث عن الماء فيسبقهم إلى الماء ويجهز الدلاء – فيقول : " **أنا فَرْطُكم على الحوض** – أي حوضه الشريف - **وليختلجن رجال دوني فأقول: يا رب أمتي أمتي** – وفي رواية: " **أصحابي أصحابي ، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول: فسحقاً فسحقاً فسحقاً** " [5] .

فهم كما لم يَرِدُوا النصوص الشرعية مَوْرِدَ الفقير المحتاج ، يحرمون حوض النبي ، وتطردهم الملائكة عن حوضه ، مع أنهم يأتون بسيما هذه الأمة الغرة والتحجيل ، أي البياض في الجبهة والقوائم ، وينادي عليهم النبي ، ويقول: " **ألا هلم ، ألا هلم** " والملائكة تطردهم وتبعدهم عن الحوض فيقول: " **أمتي أمتي ، إخواني إخواني ، أصحابي أصحابي** " فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول: " **فسحقاً فسحقاً فسحقاً** " .

فهل يكفي أن يكون العبد مسلماً حتى يدخل الجنة ، وينجو من عذاب الله عز وجل أم لابد أن يكون على معتقد صحيح وعلى فهم صحيح للكتاب والسنة وهو معتقد الصحابة ، وفهم الصحابة رضي الله عنهم .

---

[5] ()رواه مالك في الموطأ (1/28 ، 29) الطهارة ، ومسلم (3/139) الطهارة ، والبغوي في شرح السنة (1/322 ، 323) الطهارة .

وهذه هي القاعدة الثالثة من قواعد المنهج السلفي ، وهي: كثرة الاستدلال بالآيات والأحاديث ، لذلك تجدون الكتب التي تنسب إلى أئمة السنة ومن ينتهج بهذا المنهج الواضح الحق ، يستدلون دائماً بالآيات والأحاديث ، فهي جنتهم التي فيها يرتعون ، وإليها ينقلبون ، بخلاف الكتب الفكرية ، وكتب أهل البدع ، والكتب التي تقول بأشياء تخالف النصوص ، فيرجعون إلى عقولهم ، أو بعض الآراء التي يستطيعون أن يروجوا على الناس بها باطلهم .

أهل السنة كذلك: هم أسعد الناس بإمامهم ، لأنهم لم يتخذوا إماماً دونه ، وعلماء المسلمين كالعلامة الألباني مثلاً ، أو العلامة ابن باز رحمه الله ، أو ابن عثيمين أو غيرهم من علماء السنة المعاصرين نحن لا نتعصب لواحد منهم بحيث إننا نأخذ كل ما قال به ، ونترك ما خالفه ، لأن هذه المنزلة ليست لأحد بعد رسول الله ، فالله عز وجل يقول: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا} (7) سورة الحشر .

فالله عز وجل تعبدنا باتباع رسول الله وقال: {وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} (158) سورة الأعراف ، وهذه المنزلة لا يرتفع إليها أحد من علماء الأمة ولو كان أبا بكر أو عمر فضلاً عن الأئمة الأربعة وغيرهم .

وهكذا يتضح لنا المنهج السلفي ، وهو أن ندور مع الكتاب والسنة حيث دارا فلم باتباع أحد من علماء السنة ، ولكننا تعبدنا باتباع رسول الله فهذه هي السلفية ، أن تكون على فهم الصحابة للكتاب والسنة ، وأن تدور مع الكتاب والسنة حيث دارا ، ولا تفهم الإسلام من خلال شخص غير معصوم ، فكل واحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله .

الأصول العلمية للدعوة السلفية

ومعنى الأصول العلمية: القضايا الكلية التي تهتم بها هذه الدعوة ، وتجعلها نُصْبَ عينيها ، فتجدون بعض الدعوات ترفع راية الجهاد ، ويقصدون أن الجهاد هو الإسلام كله ، فكل سعى الجماعة للجهاد .

وقد لا يفهمون الجهاد كما في كتاب الله عز وجل ، أو سنة رسوله ، فيسمون الخروج على الحاكم مثلاً جهاداً ، والخروج على الحاكم شيء والجهاد شيء آخر .

وآخرون يخرجون إلى الدعوة ، أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتكون هذه هي قضيتهم ولا يفهمون ولا يفهمون التوحيد فهماً صحيحاً ، ويقولون: الحب في الله هو أصل الأصول ، وهذا لا شك باطل ، لأن أصل الأصول هو التوحيد ، فما بعث الله عز وجل رسولاً إلاّ بالتوحيد ، كما قال عز وجل: {وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ} (45) سورة الزخرف ، وقال عز وجل: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} (25) سورة الأنبياء .

وهذه مقالة متكررة من كل رسول: {اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} (50) سورة هود ، تجدون هود ، وصالح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، وكل نبي أتى قومه بهذه الكلمة {اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} فقضية الأنبياء واحدة ، كما أن قضية الدعاة إلى الله عز وجل واحدة .

كما أن القضية التي ينبغي أن تهتم بها كل دعوة تَدَّعِي أنها على الحق ، وأنها على السنة ، وأنها الفرقة الناجية ، هي قضية التوحيد أي: تعبيد الناس لله عز وجل .

فهذا رِبْعِيّ بن عامر الذي فهم عن رسول الله ورباه النبي لما دخل على رستم سأله عما جاء به فقال: " إن الله أبتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضِيْقِ الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام " .

كيف فهم قضية الإسلام؟! وكيف تكون الدعوة إلى الله عز وجل؟! ما قال: إن الله بعثنا بالحب في الله ، أو للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أو لقضية الجهاد ، بل قال: إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد ، لأن الناس يعبدون الأشجار ، والأحجار ، والشمس ، والقمر ، والبقر ، والطواغيت ، والأموال ، والهوى ، والشياطين ، الناس يعبدون آلهة متعددة .

فوظيفة الرسل وأتباع الرسل هي: أنهم يخرجونهم من هذه العبادة الباطلة ، من عبادة غير غير الله ويعبّدونهم لله عز وجل ، يجعلونهم عبيداً حقيقيين لله عز وجل ، يعرفونهم التوحيد ويعرفونهم بالله عز وجل ، وهي القضية التي خلق الله من أجلها الخلق كما قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} (56) سورة الذاريات ، والله عز وجل خلق الجن والإنس لعبادته .

فالرسل يوجهون الناس لهذه الوظيفة التي خلقهم الله عز وجل من أجلها ، فهل ترون قضية أهم من قضية التوحيد؟ هل ترون أن الناس يمكن أن ينصلح حالهم؟ أو يستقيم أمرهم ، وأن يسعدوا في الدنيا والآخرة بقضية غير قضية التوحيد؟ .

لذلك كانت قضية التوحيد هي القضية الأولى في هذه الدعوة ، لأنها قضية الرسل ، قضية تعبيد الناس لله عز وجل ، والتوحيد ليس هو التوحيد عند المعتزلة –وهو توحيد الصانع- ، وليس التوحيد عند الصوفية – وهو اعتقاد الحلول والاتحاد ووحدة الوجود- ، ولكن التوحيد أن تعتقد أن الله عز وجل واحد ، وما ينبغي أن تتعرف به على الله عز وجل ، وأن تثبته لله عز وجل من أسمائه وصفاته وربوبيته ، وكذلك إفراد الله عز وجل بكل ألوان العبادة .

ويدخل –لا شك- في قضية التوحيد الإيمانُ بالملائكة ، والرسل ، والكتب ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره ، فكل هذا يدخل في قضية التوحيد ، فهذه القضية الأولى عند الرسل .

فأي دعوة لا تهتم بقضية التوحيد ، ولا تجعل قضية التوحيد نُصْبَ عينها فهي دعوة على غير هدي المرسلين .
مهما كانوا يقولون: دعوة عالمية ، ودعوة عمرها ثمانون سنة ، ودعوة منتشرة في بقاع الدنيا ، إذا كانت هذه الدعوة لا تهتم بقضية التوحيد فهي دعوة على غير هدى المرسلين ، لأن الرسل دعوتهم كانت للتوحيد ، والله عز وجل أرسل كل الرسل بدين واحد وهو التوحيد {شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ} (13) سورة الشورى .
فأصول العقائد واحدة لم تختلف من رسول إلى رسول ، فالذي جاء به نبينا محمد من التوحيد ، هو ما جاء به موسى ، وما جاء به عيسى ، وما جاء به إبراهيم ، وهو الإسلام إسلامُ الوجه لله والإيمانُ بأمورِ الإيمان الستة .
أما الشرائع فمختلفة (تكاليف العبادات) يحل الله عز وجل لهؤلاء ما حرم على هؤلاء ، ويحرم على هؤلاء ما أحل لهؤلاء ، كما قال تعالى: {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا} (48) سورة المائدة .
فكل أمة لها تشريع وتكاليف مختلفة ، ولكن قضية التوحيد قضية واحدة ، فالرسل كلهم دعوا إلى التوحيد ، والتوحيد واحد لا يختلف ، لذلك أي دعوة ينبغي أن تهتم بقضية التوحيد ، وأن تُعَلَّمَ التوحيد الذي تركنا عليه رسول الله لقول الله عز وجل: {فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ} (137) سورة البقرة ، فعقيدة الصحابة: هي المقياس الصحيح للعقيدة ، فأي معتقد يخالف اعتقاد السلف فهو باطل ، لأن الحق هو ما تركنا عليه رسول الله .

القضية الثانية أو الأصل الثاني من الأصول العلمية للدعوة السلفية هو الاتباع:

والاتباع يأتي بأحد معنيين: ((الاتباع الذي هو ضد الابتداع)) .
كما قال ابن مسعود: " اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم " فالاتباع يأتي بمعنى اتباع هدى النبي ، واتباع سنة النبي كما قال تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا} (7) سورة الحشر ، وقال: {مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ} (80) سورة النساء ، وقال: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ} (36) سورة الأحزاب .
والأحاديث كثيرة وشهيرة فمن ذلك قوله :" **فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي** "[6] ، ومنه قوله : " **لكل عمل شِرّةٌ ، ولكل شرة فَتْرَةٌ ، فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى ، ومن كانت فترته لغير ذلك فقد ضل** "[7] .
فالحاصل: أن الله عز وجل تعبدنا باتباع رسوله .

وخير أمرو الدين ما كان سنة وشر الأمور المحدثات البدائع .

كما حذرنا الله عز وجل من مخالفة هديه وقال: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (63) سورة النور .
وقال النبي : " **من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد** "[8] .

---

6 () تقدم تخريجه .
7 () رواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة (1/27) ، والألباني: حديث حسن: إسناده ثقات غير مجالد وهو ابن سعيد فإنه ضعيف لكن الحديث حسن له طرق.
8 () رواه البخاري (5 /301) الصلح ، ومسلم (12/16 نووي) الأقضية .

وقال : " **أما بعد ، فإن أحسن الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ، وشر الأمرو محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة** "[9] .

فكان هذا المنهج واضحاً جداً للصحابة رضي الله عنهم ، حتى لما طلب أبو بكر الصديق من زيد بن ثابت أن يجمع القرآن ، قال: ((كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله)) ، لما أقتنع عمر بن الخطاب وذهب عمر وأبو بكر لزيد بن ثابت يطلبان منه أن يجمع القرآن ، ويتتبع آيات القرآن فقال: ((كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله)) .

ولما أراد النبي أن يؤدب الذين قتلوا قواده في مؤتة في شمال الجزيرة العربية من الروم ، فجهز جيشاً بقيادة أسامة بن زيد بن حارثة –حب رسول الله - ثم شغلوا بمرض النبي وكان الجيش معسكراً قريباً من المدينة ، فلما توفى رسول الله ، ولحق بالرفيق الأعلى ، وارتدت قبائل العرب ، وقيل لأبي بكر الصديق: " كيف يخرج هذا الجيش وقد ارتدت قبائل العرب ، وكيف نترك المدينة ، وقد يهجم هؤلاء المرتدون على المدينة " .

فغضب أبو بكر رضي الله عنه وقال: " أقاتلهم وحدي حتى تنفرد سالفتي " ، وقال: ((كيف أفك عقدة عقدها رسول الله ؟!)) ، وصمم على خروج جيش أسامة بن زيد ، وخرج جيش أسامة ، وأرهب قبائل العرب ، وقالوا: ((ما خرج هذا الجيش إلا وبهم قوة ومنعة)) وكان هذا من بركة التسليم للسنة ، فذهب الجيش ، وغاب أربعين يوماً ، وعاد سالماً غانماً ، ثم جهز بعد ذلك أبو بكر الجيوش لقتال المرتدين ، فحفظ الله عز وجل بهم الدين ، وردهم إلى حديقة الإسلام مرة ثانية .

---

[9] () رواه مسلم (6/153) الجمعة .

الاتباع أيضاً يأتي بمعنى الاتباع الذي هو منـزلة متوسطة بين الاجتهاد والتقليد:

فالاتباع: أن تتبع العالم بـدليله مـن الكتـاب والسـنة ، فهـي منزلة متوسطة بين الاجتهاد والتقليد .
والاجتهـاد: أن تحصـل أدوات الاجتهـاد ، تـدرس القـرآن ، وتعلم ما به من ناسـخ ومنسـوخ ، ومطلـق ومُقيـد ، وخـاص ، وعام ، وكذلك تدرس أحاديث النـبي ، أو علـى الأقـل تعـرف مواقعها في كتـب السـنة ، وتـدرس اللغـة العربيـة ، وتـدرس الأصلين أصول الحديث ، وأصول الفقه ، ثم إذا حصّلت أدوات النظر المباشـر والاجتهـاد مـن حقـك أن تجمـع النصـوص وأن تجتهد ، فهذه منزلة الاجتهاد ، وهي لخواص الأمة مـن العلمـاء الذين حصلوا أدوات الاجتهاد ، في مقابـل هـذه المنزلـة هنـاك منزلة التقليد .
والتقليد: جـائز للجاهـل المحـض ، ولا يكلـف اللـه نفسـاً إلا وسعها .
فإن الجاهـل المحـض الـذي لا يقـرأ ولا يكتـب إذا تلـوت عليـه الدليل ، أو إذا ذكرت له الآية والحديث لا يفهم المقصود ، فهو إذا أراد أن يطلّق زوجته يطلب منـك أن يعـرف كيـف يطلـق ، وإذا أراد أن يحج بيت الله فيريـد منـك أن يعـرف كيـف يحـج ، وإذا فهـم ذلـك فهـذا حسـبه ولا يسـتطيع أكـثر مـن ذلـك ، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها .
فالتقليد جائز في مواطن منها الجاهل المحـض الـذي لا يفهـم المقصود من الآية والحديث .
كذلك المسائل التي ليسـت فيهـا نـص مـن الكتـاب أو السـنة صحيح صريح يدل على المعنى بوضوح ، ولكن قد يكون هنـاك نص غير ظاهر الدلالة ، فتختلف أنظار العلماء وأفهام العلمـاء للنص ، وبعضهم يستدل بـه علـى قضـية ، والآخـر يسـتدل بـه على عكس القضية .

فمثل هذه المسائل أيضاً تكـون مـن مسـائل الاجتهـاد ، وهـي الـتي فيهـا نـص غيـر واضـح الدلالـة ، أو غيـر صـريح الدلالـة ، فتكون أيضاً من مسائل الاجتهاد .
فمسائل الاجتهاد: المسائل التي ليس فيها نـص بـالمرة ، ويكون مستند العلماء فيها أن يقيسـوا مسـألة غيـر منصوصـة على منصوصة للتشابه بينهما .
والقياس: كما يقولون كأكل الميتة للمضطر ، فهو لـم يجـد نصاً في المسألة فلجأ للقياس ، والذين يقيسون هـم العلمـاء كما بينا .
فالحاصل: أن القياس يلجأ إليه عنـد عـدم وجـود النـص ، أو عند وجود نص غير واضح الدلالة أو غيـر صـريح فـي القضـية ، فهذه المسألة تعتبر من مسائل الاجتهاد ، فيجوز لـك أن تقلـد في مثل هذه المسائل الاجتهادية عالماً من علماء الأمـة ، وأن تأخذ بفهمه لهذه القضية ، ولا يعترض مجتهد على مجتهد ، ولا مَنْ قلد ، يعني لا يعترض مَنْ قلد مجتهداً على من قلد مجتهداً آخر ، طالما أن المسألة ليس فيها نص صـريح مـن الكتـاب أو السنة .
أيضاً من المواطن التي يصـلح فيهـا التقليـد ، المـواطن الـتي تنزل بالمسلمين فيها نازلة ، وليس هناك وقت لمعرفة أقـوال العلمـاء ، ومعرفـة اختلافهـم ، وأيهـم وِفْـق الكتـاب والسـنة ، فمثل هـذه النـوازل عنـد ضـيق الـوقت لا يسـع الـوقت لتـدبر أقوال العلماء فيجوز لنا أن نقلد عالماً من علماء الأمة .
فالاتباع هنا يعني الاتباع الذي هو منزلة متوسطة بين الاجتهـاد ، والتقليد ، فنحن لسنا بعلماء مجتهدين ، فنحـن طلاب علـم ، كذلك لسنا من الصنف الآخـر الجاهـل المحـض ، ولكـن نحـن طلاب علم ، فالذي يتعين عليـه الاتبـاع ، والمسـائل المختلـف فيها ينبغي علينا أن نعرف أقوال العلماء فيها ، وأن نعلم أيهـم أقرب للكتاب والسنة ، لأن الله عزَّ وجلَّ تعبدنا باتباع رسوله
وقال: {وَاتَّبِعُـوهُ لَعَلَّكُـمْ تَهْتَـدُونَ} (158) سـورة الأعـراف ، وقال: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَـى بَصِـيرَةٍ أَنَـا وَمَـنِ

اتَّبَعَنِي} (108) سورة يوسف ، فلابد أن يكون الاتباع للنـبي ووسيلة الاتباع هي أن تعـرف مـن يوصـلك إلـى النـبي ، لأن المقلد ليس من أهل العلم .

العلم قال الله ، قال رســوله قال الصحـابة ، ليس بالتمويه .

ما العلم نصبَكَ للخلافِ سفـاهة بين الرسـول وبين قول فقيه .

كل العلوم سوى القرآن مشغـلة إلا الحديثَ وإلا الفقهَ في الدينِ .

العلـم ما كان فيه قال حدثنا وما سوى ذاك فوسواس الشياطين .

فالمقلد ليس عنده خبر عن الله عز وجل ، أو عـن رسـوله ، ليس عنده إلا قال الشـافعي ، قـال أحمـد ، قـال فلان ، ليـس عنده خبر عن الله عز وجل ، أو عن رسوله ، وقالوا: لا فـرق بين المقلد وبين بهيمة تقـاد ، وللأسـف بعـض الجماعـات فـي الساحة الإسلامية تربى أبناءها على التقليد ، فلا تعودهم علـى السؤال عن الدليل ، وإذا سأل أحد عـن الـدليل ربمـا يضـرب في وجهه ، لأنه ليس من حقه أن يعرف الدليل .

فينبغي أن تتعرف علـى الـدليل ، وأن يكـون الاتبـاع للنـبي ، وبعـض النـاس يعتـبرون السـؤال عـن الـدليل سـوء أدب مـع المفـتي ، والواقـع أن هـذا ليـس بسـوء أدب ، ولكنـه تحـري وتقوى لله عز وجل ، وأنك تريد أن تتأكد أنك خلف النبي .

القضية الثالثة أو الأصل الثالث من الأصول العلمية للدعوة السلفية وهو التزكية:

والتزكية: يقصد بها التنمية والتطهر ، يقولون زكا الزرع ، أي نما ، وصلح وبلغ كماله .

فالتزكية من المهمات التي بعث بها نبينا الكريم كما قال تعالى: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} (2) سورة الجمعة .

وكان النبي يطلب التزكية لنفسه ويقول: " **اللهم آت نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكها ، أنت وليها ومولاها** " [10] .

وتمنن الله عزَّ وجلَّ على المسلمين بمثل هذه الزكاة وقال عز وجل: {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ} (21) سورة النور .

وأقسم الله عز وجل في كتابه أحد عشر قسماً متوالياً ، وليس في القرآن كله من أوله إلى آخره أقسام متوالية بمثل هذا العدد ، وهذه الكثرة على أن صلاح العباد منوط بتزكية نفوسهم ، وعلى أن خيبتهم منوطة بتدسية نفوسهم قال تعالى: {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (1) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (2) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (3) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (4) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (5) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (6) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} (1-10) الشمس .

والله عز وجل لا يحتاج إلى قَسَم ، ومن أصدق من الله قيلاً ، ولكنه عزَّ وجلَّ يريد أن يلفت أنظارنا إلى عظمة هذه الحقيقة وشرف هذه القضية فيقسم عليها هذه الأقسام المتوالية بهذه الكثرة وعلى هذا النسق يقول: قد أفلح من زكاها وقد

---

[10] () رواه مسلم (17/41) الذكر بزيادة في أوله وآخره ، وأحمد (4/371) و (6/209) بلفظ: ((اللهم أعط)) .

خاب من دساها ، وكيف يفلح من زكاها ، وهو يسعد في الـدنيا والآخرة .

يعني من زكى نفسه يعيش في روضة من رياض الجنة يـأنس بالله ، ويسعد بالله ويستغنى بالله عز وجل ، كما قال النبي : " **وجعلت قرة عيني في الصلاة** " [11] .

وكان يواصل وينهـى عـن الوصـال ، فيقولـون: إنـك تواصـل ، فيقول: " **إني لست كهيئتكم ، إنـي أبيـت لـي مطعـمٌ يطعمني ، وساق يسقيني** " [12] ، فكان يفيض على قلبه من المعاني ، والأحوال الإيمانية ، ومن حلاوة الإيمان ما يغنيـه عن الطعام ، والشراب كما قال بعضهم:

لها أحاديث من ذكراك تشغلها عن الطعام
وتلهيها عن الزاد .

فالإنسان: إذا كان في حالة إيمانية مرتفعة يأنس بـالله عـز وجل ويسعد بالله عز وجل ، فإنه لا يحتاج مـع ذلـك إلـى كـثير من الطعام والشراب ، بل يستغنى بما يَرِدُ على قلبـه ، لـذلك المؤمن يأكل في مَعِيٍّ واحد ، والكافر يأكل في سبعة أمعاء .

فالمؤمن عنده من الإيمان ، ومن الأحـوال الإيمانيـة مـا يغنيـه عن كثير من الطعام والشراب .

فالحاصل: أن صـلاح العبـاد فـي تزكيـة نفوسـهم ، وخيبتهـم وخسـارتهم فـي تدسـية نفوسـهم ، وأول التزكيـة عنـد أهـل المنهج الصحيح ، أي: عند السلفيين أو أهـل السـنة والجماعـة هو التزكية بالتوحيد ، لأن أعظم النجاسات هي نجاسة الشرك قال عز وجل: {إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ} (28) سورة التوبة .

---

11 () رواه النسائي (7/61) عشرة النساء ، وأحمد (3/285،199،128) ، والحاكم (2/160) النكاح وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني .

12 () رواه البخاري (4/202) الصوم ، ومسلم (7/212) الصيام ، ومالك في الموطأ (1/300) الصيام .

قال ابن عباس في قول الله عز وجل: {وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِين (6) الَّـذِينَ لَا يُؤْتُـونَ الزَّكَـاةَ(7)} سـورة فصـلت ، قـال: الـذين لايشهدون أن لا إله إلا الله .
فالزكـاة هنـا بالتوحيـد ، وأرسـل اللـه عـز وجـل موسـى إلـى فرعون يقول: {فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى (18) وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى (19)} سورة النازعات ، أي تـتزكى بالتوحيـد ، وترك الشرك .

فالنفس تزكـو بالتوحيـد ، وتزكـو أي وتعلـوا ، وتصـلح وتكمـل كذلك بأداء الواجبات ، والإكثار من نوافـل الطاعـات ، كمـا أن النفس تصير دنيئة حقيرة لا تكاد تـرى مـن حقارتهـا ، ودنائتهـا بالشرك بالله عز وجل ، وبمعصية الله عـز وجـل: {قَـدْ أَفْلَـحَ مَـن زَكَّاهَـا} (9) سـورة الشـمس ، يعنـي علاهـا ، وطهرهـا ، ونمها ، وكملها بالتوحيد والطاعة ، وقد خاب من دساها .
فالتدسية: عكس التزكية ، وهي التحقير والتصغير ، كمـا قـال تعـالى: {أَيُمْسِـكُهُ عَلَـى هُـونٍ أَمْ يَدُسُّـهُ فِـي التُّـرَابِ} (59) سورة النحل ، أي يخفيه في التراب ، فـالنفس تصـير حقيـرة دنيئة لا تكاد ترى من حقارتها ، ومن دنائتها بالشرك والمعصية لله تعالى .
فبداية التزكية عند السـلفيين – أهـل السـنة والجماعـة – هـي توحيد ، يعني أن تعرف الله عـز وجـل معرفـة صـحيحة ، كمـا عرفنا الله عز وجل بنفسه ، وكما عرفنا به رسول اللـه ، ثـم لازم هذه المعرفة أن تفرد الله عز وجل وحده بتوحيـد القصـد والطلب ، فلا تزكوا النفس بشيء قبل أن تزكوا بالتوحيـد أولاً ، فأول واجب على المكلف هـو معرفـة اللـه عـز وجـل ، كمـا عرّفنا بنفسه ، وكما عرّفنا به رسول الله ، وإفراد الله وحده بالعبادات .
ثم بعد ذلك التزكية بأداء الواجبات ، وهذه أيضاً تزكية واجبـة ، فأفضل الأعمال أداء ما افترض الله ، والـورع عمـا حـرم اللـه وحسن النية فيما عنـد اللـه عـز وجـل ، كمـا فـي حـديث أبـي

هريرة – الحديث القدسي الذي هو أشرف حديث – بشأن الولي: " **وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه** " [13] .

فالإنسان: لا يكون ممن لا يُخْرِج زكاة ماله ، ويعتمر كل عام ، أو يبني المساجد ، وكما يقولون: من شغله الفرض عن النفل فهو معذور ، لأنه مشغول بما هو أحب إلى الله عز وجل وأكثر تقرباً إلى الله عز وجل وهو الفرض ، فمن شغله الفرض عن النفل فهو معذور ، ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور .
فالإنسان: ينبغي عليه أن يجتهد في الفرائض ، يتدبر في حاله هل يؤدي الصلوات في الوقت الذي ينبغي وعلى الوجه الذي ينبغي ، أي في أول الوقت ، وفي الجماعة ، ويستكمل الركوع والسجود والخشوع ، أو يصلي في آخر الوقت منفرداً ؟ ، هل عنده مال تجب فيه الزكاة فيبادر بأداء زكاة ماله ؟ هل عنده استطاعة لحج بيت الله الحرام ، ولم يحج ؟ هل يصوم الشهر كما ينبغي إيماناً واحتساباً ؟
كذلك يدخل في الفرائض: الفرائض التركية ، ترك الزنا ، والسرقة ، وشرب الخمر ، وأكل الربا ، وأكل أموال الناس بالباطل ، والغيبة والنميمة ، وغير ذلك من الأمور التي تعبدنا الله عز وجل بتركها ، كما قال النبي : " **إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فانتهوا** " [14] .
فهذه هي التزكية الواجبة بعد التزكية بالتوحيد ، ثم بعد ذلك هناك التزكية بالنوافل التي يبينها لنا رسول الله .
والشرع غنى بوسائل التزكية فلا نحتاج أن نبتدع طرقاً ووسائل لتزكية النفس ، كالتطويح والرقص عند الصوفية ، أو

---

13 () رواه البخاري (4/231) ، وأبو نعيم في الحلية (1/142/2) ، وانظر الحديث في السلسلة الصحيحة رقم (1640) .
14 () رواه مسلم (9 /100 - 101) الحج .

الذكر بالاسم المفرد ، أو تحريم ما أحل الله عز وجل من الأطعمة والأشربة ، وغير ذلك .
بل ينبغي أن نتحبب ونتقرب إلى الله عز وجل بما ثبت عن النبي ، وأن نعتقد أن خير الهدى هدى رسول الله .

ولايمكن للعبد أن يكون على هدي خير من هدي محمد ، لذلك لما سمع النبي عن الثلاثة النفر من الصحابة الكرام الذين ذهبوا إلى بيوت أزواج النبي ، وسألوا عن عبادته وكأنهم تقالوها ، وقالوا أين نحن من النبي ، وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .
فظنوا أن النبي لا يحتاج إلى كثير من العبادة ، ولذلك كان يصوم ويفطر ، ويقوم وينام ، ويتزوج النساء ، ولكنهم ينبغي عليهم أن يكونوا أشد اجتهاداً ، فقال أحدهم: أما أنا فأقوم ولا أنام ، وقال الثاني: أما أنا فأصوم ولا أفطر ، وقال الثالث: وأنا لا أتزوج النساء ، فلما بلغ ذلك النبي قال: " **أما إني أعلمهم بالله ، وأشدهم له خشية ، ولكني أقوم وأنام ، وأصوم وأفطر ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني** " [15] .
فلا يمكن للعبد أن يصل إلى هدى هو خير من هدى محمد .
فالحاصل: أن الشرع أغنانا بوسائل كثيرة في التزكية ، نوافل الصلاة ، كصلاة السنن الرواتب اثنى عشر ركعة كما قال ابن عمر: حفظت عن رسول الله : " **أربعاً قبل الظهر ، واثنان بعد الظهر ، واثنان بعد المغرب ، واثنان بعد العشاء ، واثنان قبل الصبح** " [16] .
بَيَّنَ فضل هذه الركعات حديث أم حبيبة -رضي الله عنها- تقول: قال رسول الله : " **من صلى في يوم وليلة اثنى عشر سجدة سوى المكتوبة ، بني له بيت في الجنة** "

---

15 () رواه البخاري (9 /89 - 90) النكاح ، ومسلم (9 / 176) النكاح .
16 () رواه مسلم (6/8) الصلاة .

. [17] **فالإنسان:** إذا كان يحافظ على السنن الرواتب ، فإنه يحافظ على اثنى عشر ركعة كل يوم ، يدوام عليها ، فكل يوم يدوام على هذه الركعات ، يبنى له بيتٌ في الجنة ، ولا تعجب فإن أدنى أهل الجنة منزلة ، له مثل الدنيا وعشرة أمثالها .

هناك قيام الليل ، وأفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل ومن نوافل الصلاة أيضاً سنة الضحى وتحية المسجد ، ومطلق التنفل في غير أوقات الكراهة .
هناك سنن الصيام كصيام الاثنين والخميس ، وثلاثة أيام من كل شهر (الأيام البيض) ، وست من شوال ، ويوم عرفة ، ويوم عاشوراء ، وصيام يوم وإفطار يوم ، وهو أحب الصيام إلى الله ، وهو صيام داود عليه السلام .
يقول النبي ﷺ: " **من صام يوماً في سبيل الله ، جعل بينه وبين النار خندقاً كما بين السماء والأرض** " [18] .
هناك سنن في الإنفاق والصدقات: {مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء} (261) سورة البقرة .
هناك نوافل الحج والعمرة " **العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة** " [19] .
نوافل الصلاة على النبي ﷺ: " **من صلى عليّ واحدة صلى الله عليه بها عشراً** " [20] .
فأنت تصلي صلاة واحدة على النبي ﷺ ، والله عز وجل يصلي عليك عشر صلوات .

---

17 () رواه مسلم (6/6) الصلاة ، وأبو داود (1237) أبواب التطوع .
18 () رواه البخاري (6/47) الجهاد ، ومسلم (8/33) الصوم .
19 () رواه البخاري (3/597) العمرة ، ومسلم (9/117 ، 118) .
20 () رواه مسلم (4/128) الصلاة .

كذلك الدعاء ، الدعاء هو العبادة ، قال الله عز وجل: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} (60) سورة غافر .
من نوافل الذكر أذكار الصباح والمساء ، والطعام ، والنوم ، وغير ذلك ، والأذكار الموظفة ، والغير موظفة " **مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر كمثل الحي والميت** " [21] .

فأبواب الخير كثيرة جداً ، ووسائل الشرع كثيرة جداً للتزكية ، فلا نحتاج أن نبتدع طرقاً للتزكية .
فالإنسان: لو فتح له باب من هذه الأبواب العظيمة ، واجتهد في هذا الباب لابد أن يدخل من هذا الباب لابد أن يدخل من هذا الباب على الغني الوهاب ، ومن وجد ربه عز وجل فقد وجد كل شيء ، ومن فاته ربه عز وجل فقد فاته كل شيء .
فهذه وسائل التزكية عند أهل السنة والجماعة ، وأهل السنة والجماعة يزكون أنفسهم من أجل تحقيق كمال العبودية لله عز وجل .
هذه باختصار ((**الأصول العلمية للدعوة السلفية**))
وهذا كلام مختصر عن السلفية فنسأل الله تعالى أن يوفقنا وإياكم لفهمه ، والعمل به ، ونسأله تعالى كما جمعنا في هذا المكان أن يجمعنا على الحق ، وأن يجمعنا على حوض نبيه محمد كما آمنا به ولم نره ، وألا يفرق بيننا وبينه حتى يدخلنا مدخله ، ونسأله أن يجمعنا على حوضه ، وأن يسقينا من يده الشريفة شربة هنيئة لا نظماً بعدها أبداً .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .
سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك .

---

[21] ()رواه ابن حبان (2398 موارد) ، والحاكم (1/494) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه .
وقال الذهبي: صحيح .

وصلى الله وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه .